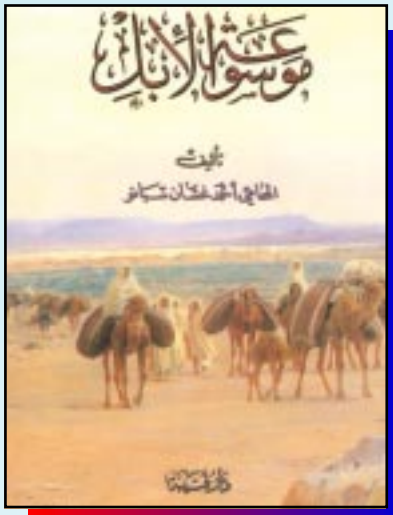

عرض كتاب

موسوعة الإبل

أ. محمد بن سعد الدوسري

صدر هذا الكتاب عام ١٤١٩هـ عن دار قتيبة للنشر وهو من تأليف المحامي أحمد غسان سبانو. يقع الكتاب في مئتين وثلاثة وستين صفحة من القطع الكبير. ويشتمل على خمسة عشر فصلاً إضافة إلى الخاتمة وثبت المراجع.

تناول **الفصل الأول** ما ورد عن الإبل في القرآن الكريم والسنة النبوية. فقد ذكر الله عز وجل الإبل في القرآن الكريم كشاهد على عظمته سبحانه وعلى أن في خلقها آية لأولي الألباب، فقال تعالى: ﴿أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: ١٧].

أما ذكر ناقة الله المعجزة التي أرسلها إلى قوم صالح عليه السلام فقد ورد في عدة مواضع ومن تلك المواضع قوله تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾[هود: ٦٤]. وقوله تعالى: ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٧٣]. كما أشار الكاتب إلى أن الإبل وردت في القرآن بألفاظ متعددة منها العير والبعير.

أيضاً ورد ذكر الابل في السيرة النبوية وذلك لما لها من مقام لدى العرب المسلمين، ففي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم «لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حمر النعم» وحمر النعم يراد به الإبل. وأشار أيضاً إلى ناقة الرسول ﷺ القصواء التي هاجر عليها.

تناول **الفصل الثاني** من الكتاب الحديث عن أصل الإبل موضحاً أن الأنواع الحالية للجمال تعود إلى نوعين رئيسيين: الأول منها الجمل ذو السنام الواحد، و المعروف بالجمل العربي، حيث يعيش في مناطق شبه الجزيرة العربية، وشمال إفريقيا الموازية لشواطئ البحر الأبيض المتوسط، والسودان، وإثيوبيا، وأريتريا، والصومال، وشمال كينيا، كما يعيش في بعض مناطق الشرق الأدنى ووسط آسيا الغربية. أما النوع الآخر فهو الجمل ذو السنامين، ويعيش في المناطق الأكثر برودة من سابقتها في جنوب روسيا ومنغوليا ومناطق آسيا الشرقية والصين.وقد أشار الكاتب إلى أن التفرقة بين النوعين اعتمدت على اختلافات تشريحية، وأضاف أن هناك نوع هجين يقع بينهما يتميز بقوة تحمل أكبر، وسنام واحد مع ميل السنام باتجاه الأمام نحو رأس الجمل.

ويصف المؤلف الجمل العربي الأصيل فيذكر أنه يتميز ببنية قوية وأطراف عالية مقارنة بنظيره في وسط آسيا، حيث يصل علوه إلى حوالي المترين عند الكتف، أما الرأس فهو قصير نسبياً وله خطم طويل انسيابي وجبهة محدبة، وعيناه كبيرتان يحميهما حاجبان بارزان، وصفان من الرموش أحدهما علوي وآخر سفلي، وتقع الأذنان الصغيرتان المستديرتان على جانبي مؤخرة الرأس، وشفة علوية مشقوقة تتدلى فوق الشفة السفلية، وعنق مقوس مضغوط بشكل جانبي يقع الجزء الأسمك منه في الوسط.ويصف شعر الجمل أو وبره بأنه ناعم ويكون في أعلى الرأس والعنق والكتفين وطرف الذنب، وأن لونه يختلف على الرغم من أن اللون البني واللون الرملي الفاتح هو اللون الغالب إلا أن هناك بعض الجمال ذات لون أبيض أو أسود. ويشير الكاتب في هذا الفصل إلى أن وبر الجمل يسقط كل عام ويتجدد في نهاية فصل الربيع.

استعرض **الفصل الثالث** تاريخ الإبل وأصلها حيث اعتبر كثير من المؤرخين أن مناطق جنوب ووسط الجزيرة العربية المركز الوحيد للإبل المدجنة والتي ظلت محصورة في تلك المنطقة لعدة قرون، كما أشار إلى أن أقدم الوثائق تدل على أن قاطني شبه الجزيرة العربية هم أول من استخدم الإبل المدجنة بمهارة عالية، وذلك في القرن الحادي عشر قبل الميلاد، وإن أول سجل عن إستخدام الإبل كان في بلاد الرافدين ويعود إلى القرن التاسع قبل الميلاد، وبعد القرن الثاني عشر قبل الميلاد أصبح نسل الجمل مهماً جداً في شمال المناطق العربية والشرق الأوسط بعدما إستولى الساميون على الطريق البري لتجارة البخور. كذلك كانت الإبل ذات أهمية في حمل البضائع ونقلها خلال العصور التاريخية البدائية، أما في شمال أفريقيا فقد استخدمت الإبل بشكل واسع في بداية القرون الأولى بعد الميلاد خاصة في الصومال وأريتريا. كما تشير المصادر التاريخية أن وجود الإبل في مصر يعود إلى القرن السابع والسادس قبل الميلاد، وكان تكاثر الإبل في البداية محصوراً في الصحراء (شرقي الأقصر) ثم انتشرت نحو الجنوب من خلال الصحراء الشرقية للسودان.

وذكر المؤلف في هذا الفصل أن الإبل تعد اكثر ملائمة في نقل الأمتعة من الحصان والعربات الخاصة لعدة أسباب منها : القدرة على السير في اليوم أكثر مما تفعله العربات، وأنها ليست بحاجة إلى طريق ممهد، وأنها أكثر تحملاً وصلابة لما يوضع عليها من أمتعة، والقدرة على قيادة أكثر من جمل بواسطة شخص واحد، والسعر المناسب مقارنة بالعربة.

تناول **الفصل الرابع** توزيع الإبل في العالم وتعدادها وأهميتها مع الإشارة إلى العوامل المناخية والاجتماعية والاقتصادية التي أثرت على تواجدها وتوزيعها. وبعد ذلك أشار الكاتب إلى أن الجمل ذو السنام الواحد يعد من الحيوانات الرحل التي تتواجد في مناطق يقل فيها هطول المطر وترتفع فيها درجات الحرارة، و في الأطراف الشمالية والشرقية من سلسلة الجبال الآسيوية، وقد استبدل الجمل العربي في المناطق الجبلية من جنوب روسيا وصحاري الصين الباردة بالجمل ذو السنامين، وبين الكاتب أن فسيولوجية الجمل الخاصة خلف نجاحه في العيش في المناطق الأشد حرارة من المناطق التي تعيش فيها بقية الحيوانات، وأوضح أن العدد الكلي للجمال في العالم حسب الإحصاء لعام ١٩٧٨م بلغ خمسة عشر مليون تمثل الإبل العربية (وحيدة السنام) حوالي ٩٠٪.

تناول **الفصل الخامس** أنواع الإبل وسلالاتها مبيناً أنه بصورة عامة هناك عرقان من الجمال في البلاد العربية وكل منهما ينقسم إلى عدة سلالات، وتدعى كل سلالة طبقاً للمنطقة أو الأصل، وهذان العرقان هما العرق العماني وهي أفضل الجمال وأسرعها، والعرق

النجدي وهو الأشهر، وذلك لأنه يخلو دائماً من الأمراض الوبائية، ولأن أهالي تلك المنطقة دائماً يصدرون الجمال إلى الخارج ولايستوردونها. فمن السلالات المشهورة في نجد سلالة (الحرّة) التي تربيها قبائل شمر وعنزة، وتعتبر أفضل الجمال للعمل في فصل الصيف، حيث تقاوم العطش أكثر من الجمال الأخرى، كما بين الكاتب أن هناك سلالات أخرى تشمل (العطية) من شمال وأواسط نجد، وسلالة (الأرثية) من المناطق الغربية في نجد. ومن خارج نجد هناك سلالة تأتي من الأحساء تدعى (العصافير)، ومن منطقة نجران وبيشة هناك سلالة (العرقية).

خصص **الفصل السادس** للحديث عن تشريح الجمل موضحاً بالرسومات، ومن خلال هذا الفصل أوضح الكاتب أن الرقبة الطويلة والسنام هما السمتان الأكثر تمييزاً للإبل من غيرها من الحيوانات الأليفة. كما أسهب في شرح الأجزاء الرئيسية من جسم الجمل كالجمجمة، والعمود الفقري، والجهاز العضلي والجهاز التنفسي والسنام والأجهزة العصبية واللمفاوية والدورانية.

تناول **الفصلان السابع والثامن** الحديث عن تغذية وسقاية الإبل، فقد ذكر المؤلف أن الجمال المولودة حديثاً تتغذى على حليب أمهاتها لمدة تزيد عن إثني عشر شهراً، وفي فترة الانتقال إلى مرحلة البلوغ يعطي الجمل الصغير تدريجياً أنواعاً من العشب الغض الطري، وأما الجمال البالغة فيشير الكاتب إلى أن طعامها يتألف من النباتات والأعشاب المختلفة كالعرفج والحمض والشنان وغيرها في حالة الإستقرار. أما أثناء الرحلات الطويلة عبر المناطق القاحلة أو خلال أشهر الصيف فأشار إلى أنها تتغذى بالشعير والذرة والتمر. أما عن سقاية الإبل فإن احتياج الإبل للماء يعتمد على عدة عوامل هي: سن الإبل، والعمل الذي تقوم به، والرطوبة الجوية، ودرجة الحرارة، وكمية ونوع الطعام، وكمية احتوائه على الماء.

تناول **الفصل التاسع** الحياة التناسلية عند الإبل وتوالدها، فعرض شرحاً تفصيلياً للجهاز التناسلي في الأنثى والذكر مع إيضاح لكيفية التزاوج في الإبل وتشخيص الحمل ومدته التي تتراوح ما بين ١٢-١٣شهر.

ركز **الفصل العاشر** على حياة الإبل في الصحراء، حيث أشار المؤلف إلى أن الله عز وجل أعطاها قدرات عظيمة ساعدتها على تحمل الحرارة، و تعويض استنزاف الماء الناتج من العطش لمدة طويلة، حالماً يصبح الماء متوفراً بشكل جيد، فهو يستطيع شرب كمية كبيرة من الماء تبلغ (١٠٠) لتر أو أكثر خلال عشر دقائق، وهكذا يصبح الدم والأنسجة غنية بالماء في وقت قصير. كما تضمن الحديث في هذا الفصل فوائد الجمل واستخداماته المختلفة، فكان استخدامه مع بدء تدجينه كحيوان لإنتاج الألبان، ثم تطور ذلك إلى استخدامه في حمل الأثقال، وفي الحروب والغارات، ولا يزال يستعمل كوسيلة للانتقال وإنتاج اللحوم والحليب والصوف والجلود، كما استعمل سابقاً في رفع المياه من الآبار، وجر المحاريث في الحقول و جر العربات.

أما **الفصل الحادي عشر** فتحدث عن القوافل ودورالإبل فيها، حيث إستخدمت الجمال منذ القدم في التنقل والرحيل وفي القوافل التجارية، وتتألف القافلة عادة من عدة مئات من الإبل. تتجمع هذه الأعداد الهائلة مع بعضها البعض حتى تضمن السفر بأمان. وأشار الكاتب من خلال هذا الباب إلى أنه في الأزمنة القديمة كان هناك خمس قوافل تتجه إلى مكة المكرمة كل سنة، وقد استخدمت الجمال في نقل الناس وحمل المؤن والأمتعة.

وقد وصف الكاتب سير القافلة فبين الطريقة الأكثر شيوعاً لمشي القافلة وهي جعل الجمال تسير في مجموعات أو قطعان مع وجود رئيس القافلة في المقدمة. وذكر أن قافلة الجمال تسير بسرعة ٤ إلى ٥ كيلو مترات في الساعة، وأن معدل ثقل الأحمال في الرحلات الصحراوية على الجمل حوالي ١٥٠كيلوغراماً، وأنه يستطيع العمل في حمل الأثقال حوالي ستة أو ثمانية أشهر في السنة، ويحتاج إلى الراحة بقية أشهر السنة. أما جمال الركوب الجيدة فأوضح الكاتب بأنها تسير بسرعة حوالي ٨كيلومترات في الساعة وتصل سرعتها إلى عشرين كيلومتر عند الركض لمسافات قصيرة.

أشار المؤلف في **الفصل الثاني عشر** إلى تنامي تصدير الإبل وتجارتها، فمع تزايد أهمية الإبل وازدياد سفر الأوربيين إلى العديد من البلدان الأخرى، زاد استخدام الإبل في أعمال متعددة وفي نقل عتاد الجيش، وكانت أيضاً مصدراً للحم والصوف. وقد شحن الأوربيون الإبل إلى شرقي أوربا، وأسبانيا، وجنوب أفريقيا والبرازيل، وجاوا، وكوبا وفنزويلا. وفي عام ١٨٥٦-١٨٥٨م شحن أكثر من ١٢٠جملاً إلى تكساس بالولايات المتحدة إستخدمت في نقل الأمتعة للجيش وفي جر العربات في الحرب الأهلية.

أما عن تجارة الجمال في جزيرة العرب فأشار الكاتب إلى أن سوق بريدة عام ١٩١٥م يعد أعظم سوق لتجارة الجمال في شبه الجزيرة العربية. وفي مناطق بلاد العرب الوسطى تدار هذه التجارة في بداية الصيف بعد إنتهاء موسم الحصاد، وتتوقف هذه في فصل الشتاء، ويتم التبادل التجاري في شراء وبيع الجمال بين قبائل معروفة في المنطقة وخارجها، وقد بلغ ما صدر منها إلى الدول المجاورة ٤٠٠٠جمل سنوياً.

خصص **الفصل الثالث عشر** للحديث عن رياضة الإبل وسباق الهجن، وعناية العرب عامة والبدو خاصة بها وتحسين سلالاتها وخصوصاً السريعة منها، فكانت وسيلة نقلهم إلى أماكن بعيدة، ووسيلة حربهم وغزواتهم. وفي عام ١٩٧٢م نظم أول سباق للفروسية في المملكة العربية السعودية تحت رعاية الملك فيصل رحمه الله. ويحظى سباق الهجن بأعلى نسبة من الحضور والمهتمين بهذه الرياضة وامتد الاهتمام بسباق الهجن إلى دول أخرى في منطقة الخليج كالإمارات وقطر والبحرين وعمان ودول عربية أخرى كالجزائر والمغرب وليبيا، وقد اشتهرت عمان بجودة وسرعة هجنها ولديها أفضل أنواع السلالات، كما كان لدولة البحرين مشاركة بارزة في سباقات الهجن في مهرجانات دول مجلس التعاون الخليجي باستمرار.

تحدث **الفصل الرابع عشر** عن الإبل في الأدب العربي، فقد كان للجمل في الأدب العربي تأثير لا يمكن أن ينسى على مر الأزمنة، ففي الشعر كان حداء الإبل هو أساس عروض الشعر كما يقول أكثر علماء اللغة. ومازال الحداء يستعمل عند البدو في سيرهم مع الإبل حتى الآن. وذكر المؤلف في هذا الفصل مصطلحات الإبل في بلاد نجد، كما أشار إلى ورود ذكر الجمال في الشعر العربي وفي الأمثال العربية.

خصص **الفصل الأخير (الخامس عشر)** للإبل والفن حيث خصصه المؤلف لبعض اللوحات الزيتيه والصور التي أخذت لها في أماكن متفرقة موضحاً إرتباط الإبل بأذهان من عاشوا حياتهم معها في القوافل التجارية والغزوات والصيد ورحلات الحج وغيرها.

وفي الختام فإن هذه الموسوعة تعد مصدراً مهماً في هذا الموضوع، وتعد مرجعاً للمهتمين والباحثين لما تضمنته من معلومات وفيرة وتفصيلية عن الإبل التي هي أحد المخلوقات العظيمة التي سخرها الخالق سبحانه وتعالى للإنسان ليتدبر في خلقها ويستفيد منها. ولقد بذل المؤلف جهداً كبيراً في إعداد هذه الموسوعة وجمع المعلومات القيمة التي تبين للقارئ دور الإبل في حياة الإنسان قبل ظهور الحياة المدنية.